المقالة الرابعة[1]

الوثائق الرسمية لنجد على طاغوت الحجاز

بينا في المقالة الثانية الأسباب العامة التي توجب إنقاذ الحجاز من طاغوت مكة حسين بن علي على من قدر عليه من المسلمين كأهل نجد، وفي المقالة الثالثة الأسباب الخاصة بأهل نجد أنفسهم، ونسينا أن نعد منها منعهم من التجارة في الحجاز بل جاء بالعَرَض وهو الذي كان من أسباب شدة غلاء السمن واللحم في مكة كما بيناه في المنار من قبل، وقلنا: ان هذه الأسباب الخاصة كافية في البعث على القتال عند كل أمة ودولة، ولكن سلطان نجد لا يبالي بعداوة حسين له (و)لبلاده، ولا بمظاهرة أصحاب الألقاب الفخمة له من أولاده، الذين لم يستح كل واحد منهم بإظهار الاحتقار له بمثل قولهم ليس ابن سعود إلا شيخ عشيرة أو قبيلة – وإنما هو يرجح الواجب الشرعي والمصلحة العامة الإسلامية والعربية على المصلحة النجدية الخاصة، ونحن نؤيد قولنا بالوثائق الرسمية حقيقة أو حكمًا كما أيدنا كل موضوع مما بيناه في المقالات الثلاث.

نشرنا في المنار ثلاث وثائق صدرت من الرياض عاصمة آل سعود، فيما بين الحجاز ونجد من الخلاف، سبقنا إلى نشرها كثير من جرائد مصر وغيرها من البلاد الشرقية ولا سيما العربية:

---

(١) نشرت في المنار ٢٠ ربيع الآخر ١٣٤٣هـ، ٢٧ نوفمبر (ت٢) ١٩٢٤م.

(**الوثيقة الأولى**): بلاغ بإمضاء الأمير فيصل نجل السلطان عبد العزيز آل سعود عنوانه «للحقيقة والتاريخ» وجهه إلى أشهر الصحف في العالم الإسلامي في ٢٠ رجب سنة ١٣٤٢هـ، يتضمن سعي سلطان نجد في أثناء الحرب وبعدها لبناء الوحدة العربية ومقابلة الملك حسين له بالاستهزاء وسعيه لنقض بنيانها بما كان يُسَعِّره من نار الفتن والدسائس، إلخ. وقد حدثنا من سمع من لسان السلطان عبد العزيز آل سعود أن فيما كتبه إلى ملك الحجاز أن يكون هو (أي الملك حسين) رئيس الوحدة العربية المقترحة ... فهزيء به ولم يرد عليه. وفي هذا البلاغ إنذار للملك حسين بنشر المكتوبات التي وجدت بإمضائه في تربة وعسير والقصيم في الحث على الإفساد والفتن إذا هو مارى فيها.

(**الوثيقة الثانية**): بلاغ آخر منه «للعالم الإسلامي والشعب العربي» صدر من الرياض في ٢٨ شوال سنة ١٣٤٢هـ - افتتحه بأنه منذ بضع سنين قام نفر من العرب يطالبون باستقلال شعبهم واتحاد أمرائه فحمدت حكومة نجد سعيهم، (قال): «وعرضنا عليهم مساعدتنا على أن نضع حدًّا لمطامع الأجانب ومقدار مداخلتهم في بلاد العرب، فأبوا إلا أن ينفردوا بهذا العمل الخطير ويأخذوا على عاتقهم مسئوليته ويحوزوا وحدهم فخر تحرير بلاد العرب – فقلنا: أنجح الله استقلال العرب أيًا كان المحرر والمنقذ. ولكن ما كاد السيف يوضع في غمده حتى رأينا الاستقلال والتحرير وصايةً وانتدابًا،

وحتى رأينا شباب العرب وأحرارهم يُقادون إلى السجون ويُجلون عن بلادهم، ويُمنعون من الإقامة في ديارهم، فهل الاستقلال أن يصبح العرب غرباء في بلادهم، ومرافق الحياة في يد غيرهم؟ ولولا أن الحجاز يمس شعور المسلمين احتلاله لرأينا الانتداب قد ضُرِبَ عليه».

ثم ذكر مناوأة هؤلاء الجناة على البلاد العربية لنجد جارتهم لأنها «قوية مستقلة لم تَنْفَذ إليها مطامع المستعمرين» ثم قال:

«إن نجدًا تمدُّ يدها لكل من يريد خير العرب ويسعى لاستقلال العرب، وتساعد كل من ينهض لتحرير العرب واتحاد العرب.

«إن نجدًا ترحب بكل عربي أبي، وتعد أرضها وطنًا لكل عربي سوري أو عراقي أو حجازي أو مصري. إن نجدًا لا تطمع في امتلاك أرض خارجة عن حدودها الطبيعية. ولكنها لا تقبل إلا أن تستقل بلاد العرب كلها استقلالاً صحيحًا لا يكون لغير أبنائها سلطان عليها».

ثم ذكر مسألة الخلافة، فنفى أن تكون وظيفته روحية للتبرك، وأثبت أنها حق لجميع المسلمين ليس لجماعة أو شعب حق البت فيها، وأنهم لذلك أنكروا على حسين بن علي «عجلته والحط من شأنها بقبوله هذا المنصب الذي لا يليق له ... (وقال): إن أهل نجد يوافقون

إخوانهم أهل مصر والهند في وجوب عرض هذه المسألة على مؤتمر يمثل الشعوب الإسلامية تمثيلاً صحيحًا».

فهذه تصريحات قطعية في رأي حكومة نجد في استقلال البلاد العربية استقلالاً صحيحًا مطلقًا من قيود الوصاية والانتداب التي جناها عليها بيت حسين الحجازي ولا يزالون يخدمون حلفاءهم في تمكينها جهارًا، ونصوص لا تحتمل التأويل بأن أئمة نجد وحكامها يَعُدُّون جميع الشعوب الإسلامية إخوانًا لهم خلافًا لِما يفتريه عليهم حسين بن علي وأُجراؤه من عدم اعتراف النجديين لأحد بالإسلام غير الوهابيين.

(الوثيقة الثالثة): ما صرح به السلطان عبد العزيز آل سعود نفسه في مؤتمر الشورى الذي عقد في الرياض عاصمة نجد في أول شهر ذي القعدة الماضي سنة ١٣٤٢هـ؛ فقد اجتمع هنالك كبار علماء البلاد وزعماؤها ورؤساء الأجناد وقوادها في قصر الإمام عبد الرحمن الفيصل والد السلطان الذي حضر مجلسهم، وكانوا قد كتبوا إلى والده الجليل برغبتهم في أداء ركن الإسلام – الحج – والاستعداد لغزو مَلك الحجاز وصد عدوانه، فأخبرهم أنه أرسل مكتوباتهم إلى ولده (السلطان) في أوقاتها وقال لهم: اسألوه عنها.

فتكلم عنهم سلطان بن مجاد بن حميد زعيم برقا من عتيبة وأمير هجرة غطفط[1]، قال:

«أيها الإمام! إننا نريد الحج لا محالة ولا نستطيع أن نصبر على ترك ركن من أركان الإسلام مع قدرتنا عليه، إن مكة ليست ملكًا لأحد، ولا يحق لأحد أن يمنع مسلمًا أو يصد مؤمنًا عن أداء فريضة الحج. إننا نريد أن نحج فإن منعنا شريف مكة دخلنا مكة بالقوة، وإن لم يصدنا عن سبيل الله أو يلحق بنا أذى فنحن نحج ولا شأن لنا به. وإذا كنتم ترون من المصلحة تأخير فريضة الحج فلابد من غزو الحجاز وتخليص البيت من سيطرة طاغية مكة الذي أرهق العباد وضرب من المكوس والرسوم على قاصدي بيت الله الحرام ما تَبْرَأ منه الشريعة الطاهرة».

فأجاب السلطان بإحالة الحكم في مسألة الحج على العلماء فقرروا وجوب أدائه بالرضا أو القوة إلا أن يكون في ذلك مفسدة راجحة، وسألوه عن ذلك فشرح لهم ما كان من سعيه للسلام والأمان في الجزيرة، والعيش مع شرفاء مكة بالمحبة والمودة، وما كان من سعي الشريف حسين لإلقاء الفتن بين النجديين، إلى أن قال ما نصه:

---

(١) المنار: إن الذين يتدينون من الأعراب بدعوة النجديين يُلَقنون شرائع الإسلام أولاً، ثم يُحملون على تعلم القراءة والكتابة، وعلى ترك البداوة بالهجرة من البادية إلى المدن والقرى، عملاً بسنة صدر الإسلام، ويسمون كل قبيلة أو جماعة وحيث يقيم: هجرة، وقد يكون كله أم بعضه من بنائها. (المنار: مجلد ٢٥، ص ٤٥٧)

«السلطان عبد العزيز: أيها العلماء والإخوان لقد سعيت من مدة طويلة في بسط السلام والأمان داخل الجزيرة، فنحن لا نود أن نحارب من يسالمنا، ولا نمتنع عن مصافاة من يصافينا، لقد أحببت أن نعيش مع أشراف الحجاز كما يعيش الجيران على المودة والمحبة ولكن شريف مكة - كما تعلمون - يسعى دائمًا لبث الدسائس وإلقاء بذور الخلاف بين عشائرنا، ولكنه كان دائمًا يبوء بالخسران، والله لا يترك الحق يصرعه الباطل. إن شريف مكة قد ورث من أسلافه بغضكم فهو لا يفتأ يطعن في طريقكم السوي وسيرتكم المحمدية، ولا يألو جهدًا في الافتراء علينا والطعن على علمائنا، ولكن أهل الحق لا يضرهم من ناوأهم، ولينصرنهم الله ما نصروا دينه، وظاهروا شريعته.

«إن شريف مكة لم يكفه ادعاؤه الزعامة على العرب مع أنه أضعفهم بل قام يُلَقب نفسه بإمارة المؤمنين مع أنه يعلم أن الأقطار الإسلامية كلها تبغضه، وأن علماءكم قد أرسلوا التلغرافات إلى مصر والهند ينكرون عليه هذه الدعوى التي لا نراه كفؤًا لها، ولا بد لنا من وضع حد لأكاذيبه وإفساداته.

«وأما الحج هذه السنة فلا أراه من مصلحتكم. أنا لا أقبل أن تحجوا وبكم شيء من الضعف أو يلحق بكم نوع من الأذى والضرر، وإني على يقين أن أخذ مكة والمدينة لا يحتاج إلى أكبر مجهود ولكن مكة

ليست لنا وحدنا بل هي للمسلمين كافة، وما دمنا لم نضع خطة بالإشتراك مع المسلمين فأنا لا أجيز لكم الاستيلاء على إحدى المدن المقدسة.

«إن شريف مكة قد لا يمنعكم من الدخول إلى مكة ولكن الرجل لا يعدم وسائل الشر، فقد يدس من يتحرش بكم لتحدث فتنة في مكة في موسم الحج وفيه المسلمون من كل جنس، وإني أكاد أجزم أن هذه خير فرصة له ليُهيج علينا العالم الإسلامي الذي أخذ يفهمنا ويقترب منا ونقترب منه، واعلموا أن الأمر لا يطول فاصبروا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة] ».

عندئذ قال العلماء بصوت واحد: إنه لا حرج عليكم من تأخير الفريضة هذا العام، ما دام أن أداءها قد يؤدي إلى فتنة في بلد الله الحرام. اهـ.

فهذا نص قطعي رسمي من سلطان نجد في مجلس الشورى العام لبلاده، في الحامل له على إنقاذ الحجاز من هذه الحكومة الطاغوتية القيصرية، المسماة بالعربية الهاشمية، لا تحتمل التأويل، ولا الدعاية السياسية التي لا تُعرف في تلك البلاد ولو في غير ذلك المجلس الرسمي، ولقد صبر سلطان نجد صبراً لم يعهد له نظير من قوي يُعتدى عليه جميع أنواع الاعتداء، الدينية والدنيوية، من ضعف عاجز

يصول ويبغي سرًا وجهرًا، حتى يتجرأ على مطالبة هذا القوي في مؤتمر الكويت بأن يترك لأمره جل مملكته – أعني إقليم الأحساء الذي استرده سلطان نجد من الدولة العثمانية – وإمارة آل الرشيد الذين ناصبوا بلاده العداء حتى انتزعوها من والده بمساعدة الدولة ثم أدال الله له منه – وإمارة عسير التي استولى عليها بالاتفاق الذي عقد بينه وبين المرحوم السيد الإدريسي – وتربة والخرمة المختلف عليهما بين حدود الحجاز ونجد، ورضي ابن سعود باستفتاء أهلهما.

ملخص ما تقدم: أن سلطان نجد قد علم هو وأمته بعد التروي واستفتاء العلماء، أن إنقاذ الحرمين الشريفين من حسين بن علي واجب شرعًا ولو لم يكن لذلك من موجب إلا منع أهل نجد من الحج لكفى، فكيف إذا أضيف إلى ذلك سائر ما أشرنا إليه فيما أجملناه في الأهرام وفصلناه في المنار من إلحاده بالظلم لأهل الحرمين والحجاج، وإدخاله للنفوذ الأجنبي في البلاد، وخطره على الأمة العربية وما بقي لها من البقعة الصغيرة المستقلة في جزيرتها، وتكفيره للترك وللمصريين كالنجديين، ثم تنحله منصب الخلافة.

وفي تصريح السلطان عبد العزيز نص قطعي بإعترافه هو وعلماء بلاده بإسلام جميع الشعوب الإسلامية والرغبة في التعارف والتواد

معها وبأن هؤلاء الأمراء الحجازيين ورثوا عن سلفهم تكفير النجديين والطعن فيهم والتنفير منهم.

وقد استُفْتِينا واستُفْتِيَ غيرنا في شأن هذا الباغي (الملك حسين) في سنة ١٣٤١ هـ، فأفتى بعض علماء الأزهر بأنه من البغاة المتغلبين الذين يجب قتالهم على إمام المسلمين. وكتبنا نحن فتوى مطولة نشرناها في المنار الذي صدر في ذي الحجة من تلك السنة (ج ٨ م ٢٤ ص ٥٩٣ – ٦١٦) ونشرناها في جريدة الأهرام أيضًا أجملنا فيها صفاته وجناياته التي يقتضي بعضها الردة إلا أن يوجد ما يدفعها من شبهة، وأقلها البغي والإلحاد بالظلم في الحرم – إلى آخر ما لخصناه في هذه المقالات ولكننا استدركنا على من جعل حكمه حكم البغاة متسائلين: أين إمام المسلمين الأعظم الذي يجب عليه قتاله؟؟

ثم بينا أن إنقاذ الحرمين من بغيه وظلمه يجب على كل من يقدر عليه من جماعات المسلمين وأمرائهم وأن أقدرهم على ذلك سلطان نجد وإمام اليمن، وذكرنا ما يقال في المانع المشترك لهما من ذلك وهو الخوف أن يُفضي إلى تدخل الإنكليز في الحجاز لأنه جعله تحت حمايتهم – وقد ثبت هذا بدعوته هو وخلفه المخذول لهم واستنجادهما إياهم لإرسال طياراتهم وغيرها لقتال سلطان نجد وإرجاعه عن الحجاز – وذكرنا أنه لا يُرجى من إمام اليمن أن ينقذ الحجاز – وما

كان يقول أكثر الناس في مثل مصر وسورية من سبب امتناع ابن سعود عن الاستيلاء على الحجاز وهو اصطناع الإنكليز له بالمال وتخويفهم إياه من تأليب الحجاز والعراق وعرب فلسطين عليه إذا هو خالف رأيهم في ذلك، وقولهم: إنهم هم الذين صرفوه عن أخذ مكة بعد سحقه لأعظم قوة ساقها عليه الحجاز بقيادة الأمير عبد الله في تربة — ومن المعلوم أن سبب هذه الآراء دعاية الحجازيين وأقوال جرائدهم المأجورة.

ثم ذكرنا أقوال النجديين في سبب ذلك وهي ترجع إلى سببين:

(أحدهما): كراهة السلطان عبد العزيز آل سعود لسفك الدماء وحبه للسلم، وأنه لذلك أخضع آل الرشيد بالحصار الطويل في أشد أيام العسرة والغلاء. **(وثانيهما)**: تحرجه وتأثمه من دخول مكة فاتحًا وقد صح في الحديث أن القتال فيها لا يحل لأحد، حتى قال بعض العلماء: ان أفراد الجناة الذين يثبت شرعًا وجوب قصاصهم يجب أن يقتلوا خارج الحرم.

ثم ذكرنا أقوال الأئمة وكبار العلماء في مسألة القتل والقتال في الحرم وأن الشريف حسينًا لم يبال بحرمة الحرم فقاتل الترك فيه ولا يزال يقتل كل من يزين له هواه قتله ويسمي فعله حدًّا شرعيًّا، وأن المَخْرَج من ذلك سهل وهو كما قال بعض العلماء: أن تُحصر شقة الحرم

– وهي محدودة – حتى يضطر المعتصم فيه إلى التسليم – وقد فعل ذلك الوهابية عند الاستيلاء على الحجاز في فجر القرن الثالث عشر للهجرة فحصروا الشريف غالبًا وأعوانه وقطعوا عنهم ماء عين زبيدة حتى اضطروا إلى التسليم، ودخل الوهابيون مكة مُحرمين.

وبذلك عللنا تأخرهم عن فتح مكة في هذه المرة على اختلاف أهواء الكُتاب وآرائهم في تعليله، وإرجاف أُجراء الوكالة العربية الهاشمية الملكية الإمامية الخلفية[1] بمصر في هذه الفرصة تارة بأنهم عادوا أدراجهم مخذولين، وتارة بانتظارهم للإشارات المطاعة أن ترد عليهم من لندن كانتظار الملك لخليفة حسين أولاً وانتظار الملك علي النيابي الدستوري المدني ثانيًا!!!

وإنَّا لنعجب أن صدَّقَ هذه الفرية بعض المصريين العارفين بالشئون العامة، وسيعلمون أن الإنكليز يعدون نجاح الوهابية أكبر الأخطار على مطامعهم في العرب والإسلام.

كذلك سوغت لهم هذه الفرصة تكبير أمر هذا القتال بإيهام الناس أنه من أعظم الحروب، تسيل فيه الدماء أنهارًا في المعارك التي تشيب لهولها الولدان، وتمثيل الوهابية للناس في صور السباع الضارية والوحوش المفترسة: تبقر البطون، وتدق الصدور، وتمزق الأشلاء،

(١) الخلفية بالتحريك نسبة إلى كلمة خليفة.

وتَلِغُ في الدماء، وما حجتهم على ذلك إلا البرقية التي طيرها مسيلمة الزمان حسين إلى جميع بقاع الأرض بإمضاء بل أسماء مجهولة من سكان مكة وحجاجها وأنفق الألوف عليها، والحق الواقع أنه لم يكن ثَمَّ إلا مناوشات ضئيلة مرتين أو ثلاثًا، ولولا بعض اليمانيين وغيرهم في جيش الحجاز لَمَا وقع شيء من ذلك يُذكر، لأن أهل الحجاز مجمعون على مقت الطاغوت المرهق، الذي سمى نفسه المنقذ، وما زالوا يَدْعون الله بإنقاذهم منه حتى استجاب لهم.

وقد بنى على هذه الأراجيف الخاطئة الكاذبة الدعوة إلى استصراخ أمم الشرق والغرب من جميع الملل والنحل إلى التعاون والسعي لإنقاذ البشر من هذه الكارثة التي تصغر دون وقائعها معركة (فردون) وغيرها من معارك حرب المدنية العظمى، وإنما الغرض من ذلك إبقاء حكم الطاغوت الأكبر في حرم الله تعالى يرهق أهله ومن يَرِد إليه من الحجاج ظلمًا ويُميت الألوف منهم ظمأً إلخ.

وقد انخدع بهذه الأراجيف مجلس الأمور الشرعية المحلية بفلسطين المسمى بالمجلس الإسلامي الأعلى فطير البرقيات إلى ملوك المسلمين وجمعياتهم الدينية وغيرها يستصرخهم للتعاون على إيقاف هذه الحرب حقنًا للدماء ... وكذلك جمعية الرابطة الشرقية التي رددت صدى هذا المجلس في جلسة لم تبلغني دعوتها إلا بعد اجتماعها. ولا شك في حُسن نية المجلس والجمعية، ولو صَدَّقْتُ

أراجيف الحجاز لكُنت على رأي إخواني فيهما فأنا وكيل هذه الجمعية وأعضاء المجلس كلهم محترمون عندي ورئيسهم من خواص أصدقائي ومن أقرب الناس إلى رأيي.

قد طالت هذه المقالة وكنا نريد ختم هذه المقالات بها ولكن علمنا بعد كتابتها وقبل نشرها أن الله تعالى قد قضى على الطاغوت الأكبر مثار الشقاق والنفاق حسين بن علي وأنقذ الحجاز منه فخرج من جدة مذؤمًا مدحورًا، ولو بقي فيه ولو بعد عزله لَمَا أمنت شره، وسينقذه قريبًا من ولده وولي عهده وخليفته الملك علي المهزوم المدحور، الذي لم يكد يُسمى ملكًا للحجاز بعد انهزامه من الطائف أولاً ومن الهَدَى ثانيًا ومن كرى ثالثًا حتى أبرق إلى وكيل والده ناجي الأصيل بأن يمضي المعاهدة البريطانية الحجازية المتضمنة لإقرار الإنكليز على السيادة على البلاد المقدسة وتمليك رقبتها لليهود الصهيونيين وإعطاء البريطانيين من الحقوق في الحجاز ما قامت قيامة العالم الإسلامي على والده من أجله.

وإن لنا كلمة ختامية فيما يجب على المسلمين للحجاز وأخرى في السياسة البريطانية مع العرب في هذا الطور الجديد.

***